العلامة الدكتور محمد أبو موسى
فُتُوحٌ لا تُحْصَى

اد/ سلامة جمعة على داود
أستاذ البلاغة والنقد
وكيل كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

شيخ البلاغيين العلامة الدكتور محمد أبو موسى أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، أستاذ الجيل ، رائد التجديد فى الدرس البلاغى ، عضو هيئة كبار العلماء ، وهو فوق ذلك كله ، وليست هذه الألقاب إلا كما قال أبو الطيب :

أَسامِياً لَم تَزِدهُ مَعرِفَةً وَإِنَّما لَــذَّةً ذَكَــرناها

هذا البحث الوجيز قُلٌّ من كُثْر ، وغَيْضٌ من فَيض ، مما فتحه العلامة فى البحث البلاغى من حقول جديدة ومشاريع علمية جادة لهذا الجيل وللأجيال القادمة ، تُوَسِّعُ آفاق البحث البلاغى ، وتَمُدُّ مَيْدَانَه ، وتشق له أنهارا عذبة يجرى فيها ويُغْدِق ، وكنتُ – ومازلت– كَلِفاً جدا بهذه الآفاق التى يفتحها العلامة فى كتبه الفريدة الماتعة كتابا بعد كتاب ، أقيدها ، وأنظر فى مدى خدمتها لهذا العلم ، وسدِّها منه فجوات ، ووقوفِها منه على ثغور ليس عليها مرابطون ، وقد شبه علماؤنا فُتُوحَ المعانى بفتوح المغانى ، بل جعلوا فتوح المعانى أصعب ، ووراء هذه الفتوح عُكُوفٌ طويلٌ على هذا العلم الذى لزمه شيخنا العلامة حتى عُرِفَ به وفُتِحَ له فيه ، وقديما قالوا " مَن لَزِمَ شيئاً عُرِفَ به " ، ووراء هذه الفتوح أيضاً قلبٌ جسور وفكرٌ حُرٌّ وقُوَّةُ نَفْسٍ وطُولُ نَفَس وشجاعةٌ هى من شجاعة هذه العربية الشريفة التى طالما أحسن الشيخُ صُحْبَتَها وأطال القيام فى محرابها ٠ ولا أدعى الإحاطة بكل ما فتحه العلامة من آفاق فى البحث البلاغى ، فهى كثيرة جدا ، ويصعب الحديث عنها كلِّها فى هذا البحث الوجيز ، فهى تحتاج دراسة أوسع وأرحب ، ولكنى قيدت منها دررا لتكون قلادة فى جيد هذا المؤتمر العلمى الدولى الثانى لكلية اللغة العربية بإيتاى البارود ، وإنى لأعترف بالعجز والتقصير عن الوفاء بما فتحه العلامة من عطاء لهذا العلم الشريف ،

بل ما تركتُه من فتوحه أكثرُ مما أخذتُه ، وأعتذر لشيخى وأسأل الله تعالى له مزيدا من العلم والعطاء والتوفيق والسداد والصحة والعافية ،

اد/ سلامة جمعة على داود
أستاذ البلاغة والنقد ووكيل كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

١- الخصائص البلاغية التى تُمَيِّزُ كلام كل متكلم

هذا هو الفتح الأكبر أو فتح الفتوح أو المشروع العلمى الأكبر الذى فتحه العلامة لهذا الجيل وللأجيال القادمة ، وقد ظلت البلاغة قبل الشيخ وفى زمانه غارقة إلى الأذقان فى التعمق فى الجوانب النظرية والخلافات بين البلاغيين واستدراكات بعضهم على بعض ، حتى جاء الشيخ وحول دفة البحث البلاغى من هذه الوجهة النظرية إلى الجانب التطبيقى وهو أخصب وأوسع وأرحب ، وكان هذا فتحا جديدا للبلاغة فى هذا الجيل ، وقد تواضع شيخنا كثيرا حين قال فى كتابه " خصائص التراكيب ط ٨ ص ٣١ " : " الخصائص التى ينفرد بها كل شاعر وأديب ومتكلم علم رابع لعلوم البلاغة الثلاثة " . أقول تواضع شيخنا كثيرا ؛ لأن هذه الخصائص التى يتميز بها كل متكلم هى جوهر البلاغة ولُبُّ لُبَابِها ، وهذا الفتح ممتد فى الزمان كله ، باقٍ ما بقى لسان ينطق بهذه اللغة الشريفة ، بل هو باقٍ ممتد فى جميع بلاغات البشر ما بقى فيها ناطق بفم ؛ لأنه ما من متكلم فى أية لغة إلا وله فى طرائق إبانته فى هذه اللغة خصائص وسمات ينفرد بها ؛ وبهذا يدور هذا الفتح مع اللغة الإنسانية أنَّى دارت . ووراء هذا الفتح ما وراءه من دلالة على سَعَة نَفْسِ شيخنا العلامة وطول نَفَسِه واقتداره على أن يضع هذه اللبنة فى صرح اللغات كلها ؛ لأنها أصل من أصول البلاغة البشرية فى كل زمان ومكان .

ووراء هذا الفتح أيضا نظرة تربط الناس بلغاتهم ، فليس فيما خلق الله تعالى وذرأ من الناس إنسانٌ يتطابق كل التطابق مع إنسان آخر : فى خَلْقِه وخُلُقِه وأحلامه وأوهامه وأفكاره وخواطره وحركاته وسكناته وسعده وشقائه ونعيمه وبؤسه وتقلبه فى العالمين ، قد يتشابهان ، لكن لا يتطابقان ، فليس هناك إنسان هو نسخة أخرى من إنسان أو صورة طبق الأصل منه ، وإذا كان الأمر كذلك فى خلق الناس فهو كذلك – أيضا – فى منطقهم وبيانهم الذى يبينون به عن أنفسهم ، فكما

لاتتطابق النفوس لايتطابق كلامها ، بل يبقى فى كلامى الكاشف عن خصائص نفسى ما يتمايز عن كلامك الكاشف عن خصائص نفسك ، ولعل هذا من مقاصد القرآن العظيم فى الجمع بين خلق الإنسان وتعليمه البيان فى قوله عز اسمه " الرَّحْمَنُ ٠ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٠ خَلَقَ الْإِنسَانَ ٠ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " (الرحمن ١-٤) ، خَلْقُ الإنسان على صور لانهاية لها وبيانُه على صور لانهاية لها ، فليس هناك إنسان صورة من إنسان ولا بيانٌ صورة من بيان ، وهذا الاختلاف من دلائل الإعجاز فى خلق الناس وفى تعليمهم البيان ٠

ويندرج تحت هذا الأصل موضوعات لا تحصى ، كأوليات كل شاعر وأديب ومتكلم ، وأوليات كل قبيلة وكل بيئة وكل عصر ، والمعجم البلاغى لكل شاعر وأديب ومتكلم الذى يكشف عن طريقته فى بناء جمله وتراكيبه وفى صوره وأخيلته ، فضلا عن المعجم البلاغى للقرآن الكريم وللحديث الشريف ولكلام الصحابة والتابعين والعلماء والفقهاء وغيرهم من نوابغ الأمة ، وتطور صور البيان فى كلام كل ذى بيان ، وقد نبه العلامة فى كتبه على هذا وغيره ٠

وذكر شيخنا فى مقدمة الطبعة الثانية من كتابه " البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى " أن الباقلانى هو الذى دله على هذا المشروع العلمى الكبير ؛ لأنه كان يبحث فى شعر زهير عن زهير وفى شعر النابغة عن النابغة ، ويبحث فى كلام الله عن الله جل جلاله ، وأن كلام كل أديب مصبوغ بصفات النفس البشرية بما فيها من نقص واضطراب وتناقض وضعف وفتور ، ولكنك فى كلام الله جل وعلا لا تجد إلا الكمال المطلق ٠

وقد توخى شيخنا تطبيق هذا الفتح فى كثير مما كتب فى دراساته التحليلية الماتعة ، وحاول أن يضع يده على السمت الذى ينفرد به الشاعر أو المتكلم ، ونفذ من تحليل الكلام وفقه أسراره إلى نفس المتكلم ، ولم يكن هذا بالأمر السهل الذى ينال بالهوينا ولكن دونه

أهوال ؛ ولذا نراه يقول فى كتابه القيم " شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة فى سَمْتِ الكلام الأول " ١/٤٨٣ : " أحاول معرفة سَمْت الكلام وتحليله ولم أُصِب " ، يقول هذا وهو شيخ البلاغيين ، ولعمرى لقد حاول وأصاب ، ولكنه تَوَاضُعُ العالم الكبير ، وإنما هى كلمة جعلها "مَنْبَهَةً " للجيل وللأجيال على وعورة هذا الباب وأنه لا ينفتح لكل طارق ولايلين لكل باحث ، وقال شيخنا أيضا عن هذا الفتح " معرفة سَمْت الكلام وخصائص كل متكلم لا يستطيع أن يفتحه باحث ، وإنما تفتحه جهود جيل ، وربما أجيال " ، وصدق شيخنا ؛ فإن هذا الفتح صالح لكل زمان ولكل جيل ، وكان لهذا الفتح أثره فى توجيه البحث البلاغى فى جامعة الأزهر وغيرها ، فكتب بعض الباحثين رسائل علمية عن الخصائص البلاغية فى كلام بعض الصحابة رضى الله عنهم ، وفى شعر بعض الشعراء ، وسيبقى هذا الباب مفتوحا ما بقى ناطق بهذا اللسان الشريف ٠

ونوه شيخنا بهذا المشروع العلمى فى كتبه كلها تقريبا ، نوه به فى كتابه " دلالات التراكيب " = الذى كتبه فى شرخ الشباب ، وذكر أنه عرضه على علامة العربية أبى فهر محمود محمد شاكر فرضيه ، وكان من أهم ما رضيه فيه الدعوة إلى دراسة خصائص مبانى الكلام التى يتميز بها كل متكلم ويتميز بها كل عصر = ونوه به فى كتابيه النفيسين جدا اللذين كتبهما بأَخَرَةٍ ، وحَرَصَ على وضع كلمة " سَمْتِ الكلام " فى عنوان كل منهما ، يعنى هيئة الكلام وسماته وخصائصه التى ينفرد بها ، الكتاب الأول " شرح أحاديث من صحيح البخارى : دراسة فى سَمْتِ الكلام الأول " والكتاب الثانى " شرح أحاديث من صحيح مسلم : دراسة فى سَمْتِ الكلام الأول " ، وهذا يدل على أن العلامة – أعزه الله تعالى – استصحب هذا المشروع العلمى طول جهاده العلمى الملىء بالعطاء ، فهذا نصف قرن قد تصرم بين إصدار كتابه " دلالات التراكيب " وكتابيه فى شرح الأحاديث الشريفة ، ولايزال

هذا المشروع العلمى هو العزم الذى ألقاه الشيخ بين عينيه وأسهر له ليله وأظمأ نهاره ، وأشهدُ أن الشيخ طبق هذا فى كل ما تناوله فى الدرس البلاغى ، فنفذ من دلالة المبانى ومن خصائص التشبيه والمجاز والكناية إلى نفس المتكلم وما تتصف به هذه النفس ٠

ولم يكتف شيخنا بطرح هذا المشروع العلمى طرحا نظريا ، بل قدم نماذج تطبيقية رائدة تدل على الطريق وتأخذ بأيدى الباحث والدارس لاليكتب كما كتب الشيخ ؛ فإن الشيخ يكره التقليد ؛ لأن التقليد يمحو شخصية الباحث ويطفىء شعلة الفكر والاجتهاد الذى لا تصلح الحياة إلا به ، ولكن شيخنا لم يطبق ذلك على ديوان كامل لأحد الشعراء حتى يكشف الخصائص التى يتميز بها شعره كله ؛ لأن هذا يحتاج إلى تفرغ تام يقضى الباحث فيه من عمره سنين دأبا ؛ إلا أن الشيخ طبق ذلك على قصائد كاملة قام بدراستها وتحليلها على نمط فريد من التحليل والتذوق لم تألفه الدراسات البلاغية والأدبية والنقدية فى زماننا هذا ، ففى كتابه " قراءة فى الأدب القديم " تحليل بلاغى رائع ماتع لقصائد كاملة من شعر الحادرة والنابغة وكعب بن زهير ، وفى كتابه الماتع "دراسة فى البلاغة والشعر " دراسات تطبيقية تفصيلية للصورة البيانية فى قصيدة الأعشى " ما بكاء الكبير بالأطلال ؟ " أتبعها بدراسة تحليلية للبناء اللغوى فى هذه القصيدة نفسها ، فكشف فى الأولى عن خصائص البناء التركيبى فى القصيدة ودل على طريقة الأعشى فى بناء شعره ، ثم ختم الكتاب بدراسة عن " المرأة فى تشبيهات الأعشى " وضرب بها أنموذجا عاليا لطريقة الدراسة البلاغية التى تتناول موضوعا ما فى شعر الشاعر ، ثم مد ميدان هذا النمط من الدراسة التى تتناول موضوعا ما فى شعر الشاعر فى كتابه " الشعر الجاهلى دراسة فى منازع الشعراء " فدرس القوس والشهدة والدُّرَّة فى شعر أوس والشماخ وأبى ذؤيب وساعدة بن جؤية والنابغة وأمية بن أبى عائذ وعمرو بن أحمر وعدى بن وداع ونهشل الدَّارِمِى والمسيَّب بن علس

والأعشى والفرزدق ، كما درس فى هذا الكتاب من النمط الأول – نمط تحليل القصائد الكاملة – معلقة امرىء القيس وقصائد من شعر أوس والنابغة دراسة تحليلية على نمط فريد لم يُسْبَق شيخنا إليه ٠

وكما قامت دراسات الشيخ للشعر على هذين المحورين – محور دراسة القصائد الكاملة ومحور دراسة موضوع ما فى شعر الشاعر – قامت دراساته للبلاغة القرآنية على هذين المحورين أيضا ، فخص بالدراسة التحليلية سورا كاملة من الكتاب العزيز ، بدأها فى شرخ الشباب بكتابه القيم " من أسرار التعبير القرآنى دراسة تحليلية لسورة الأحزاب " ، ثم كتب بأَخَرَةٍ تلك المَعْلَمَةَ البلاغيةَ والدُّرَّة الموسوية عن " آل حم : دراسة فى أسرار البيان " صدر فى أربعة أجزاء ، تبقى للأجيال وتبقى لكاتبها فى صحائف أعماله ، ثم تبقى نمطا عاليا فى فقه البيان القرآنى والتهدى إلى أسراره وأنواره ٠ ومن المحور الثانى وهو دراسة موضوع ما فى بلاغة الذكر الحكيم تلك الدراسة الوجيزة النفيسة عن " أمثال سورة النور " التى جعلها فاتحة كتابه " دراسة فى البلاغة والشعر " ، ثم قامت أيضا دراساته البلاغية للحديث النبوى الشريف على هذين المحورين ، فحلل أحاديث نبوية تحليلا كاملا ، وكان حفيا بجمع الأحاديث التى تتناول موضوعا واحدا والنظر إليها على أنها وحدة واحدة وعائلة واحدة ، وكان هذا فى كتابيه النفيسين "شرح أحاديث من صحيح البخاى – وشرح أحاديث من صحيح مسلم"٠

ولما فتح العلامة هذا الفتح سلكه كتائب من الباحثين وبخاصة فى جامعة الأزهر الشريف ، فكتب بعض الباحثين رسائل علمية عن الخصائص البلاغية فى كلام بعض الصحابة رضى الله عنهم ، وفى شعر بعض الشعراء ، وخصائص التشبيه فى بعض سور الذكر الحكيم وفى الحديث النبوى وخصائص الاستعارة والمجاز والكناية والبناء التركيبى فى بعض سور القرآن الكريم وفى الحديث الشريف ٠٠ إلخ ، وأشرف شيخنا العلامة على بعض هذه الرسائل ، ووَجَّهَ ، وقَوَّمَ العِوج،

حتى صار الطريق معبدا ، وأقول إن هذا الجيل الذى أنا فيه لم ينجز من هذا الفتح إلا سطرا واحدا من سِفْرٍ عظيم ، وسيبقى هذا الباب مفتوحا ما بقى ناطق بهذا اللسان الشريف .

٢- انتفاع الدراسة الأدبية بما فى علوم القرآن

ذكر شيخنا فى مقدمة الطبعة الثانية من كتابه " البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى " أن نقل ما يتلاءم من الحقائق فى حقل علوم القرآن إلى حقل الدراسة الأدبية يثرى هذه الدراسة ويجددها ، وأن هذه الفكرة لها جذورها فى فكر علمائنا ، وضرب مثلا لذلك بحقائق النحو التى نقلها عبد القاهر من مقولات سيبويه وبسطها بسطا بلاغيا جديدا فكان أكثر علم المعانى راجعا إلى هذه الجذور النحوية التى اهتزت وربت لما نقلت إلى تربة جديدة ، ثم أخذ الشيخ ثلاث حقائق من علوم القرآن ورسم الخطوط العريضة لها إذا نقلت إلى حقل الدراسة الأدبية :

الحقيقة الأولى : " النسخ " وهى أشد الحقائق الثلاث اختصاصا بالقرآن الكريم وأبعدها عن حقل الشعر والأدب ، والتطبيق القريب لها على الشعر أن ننظر هل نسخ الشاعر بعض معانيه ، يعنى نفى ما أثبت، أو أثبت ما نفى ، أو رضى ما كره ، أو كره ما رضى ، وهذا نقل حرفى لفكرة النسخ ، ولكنه لا يخلو من فائدة ، وأعلى منه فى تطبيق النسخ على الشعر أن ندرس الديوان دراسة تاريخية بترتيب قصائده ترتيبا زمنيا ، وهذا محقق فى الشعر الحديث لأن الشعراء يؤرخون قصائدهم ، أما فى الشعر القديم فإنها فكرة شاقة جدا ، ولكن ينبنى عليها أمر مهم جدا وهو دراسة تطور لغة الشاعر وتصرفه فى بناء شعره من حيث الكلمات والتراكيب والصور والأخيلة ، هل كان يمضى فى ذلك فى خط متصاعد صارت به أواخر شعره مغايرة لأوائله ، أم تشابهت نهايته مع بدايته فى ذلك ؟ وضرب شيخنا مثالا لذلك بأبى العلاء الذى كان يغير الكلمة إذا قرئت عليه من شعره فى صباه الملقب

بسِقْطِ الزَّنْد ، وكان يحث التبريزى على الاشتغال بغيره من كتبه كلزوم ما لا يلزم ، وذكر شيخنا أنه لا يعرف دراسة فى العربية تناولت تطور الوسائل اللغوية فى ديوان شاعر ، بمعنى تطور الخصائص البلاغية فى شعره ، ورصد هذا وقياسه وضبطه ٠

هذا ملخص ما ذكره شيخنا فى هذه الحقيقة الأولى ، وهو فكر سديد من الجانب النظرى ، ولكن شيخنا لم يطبقه على شعر شاعر ، ولا أعرف أحدا طبقه ؛ لأن الترتيب الزمنى للشعر القديم أمر موغل فى الصعوبة والعسر ، ولكنها فكرة ممكنة غير مستحيلة ، وقد التفت إليها بعض علمائنا حين صنفوا شعر أبى الطيب باعتبار مراحل حياته وتقلبه فى العالمين ، فجعلوا قسما لشعره فى صباه ، وقسما لشعره وهو فى بلاط سيف الدولة وأطلقوا على قصائده فى هذا القسم " السيفيات " نسبة إلى سيف الدولة الحَمْدانى ، وقسما لشعره فى مصر عند كافور الإخشيدى وأطلقوا عليه " الكافوريات " ٠٠ إلخ ، وعلى الرغم من هذا فإن الوقوف على تطور الخصائص البلاغية أو الوسائل اللغوية فى شعره ورصد ذلك وضبطه لم يقم به أحد فيما أعلم ، اللهم إلا ما كان من علامة العربية أبى فِهْر محمود محمد شاكر – طيب الله تعالى ثراه– فى سفره النفيس " المتنبى " ، مع أن عمله فيه لم يقم على هذا ولم يستقصه ، وإن توصل فيه إلى نتائج قيمة ، منها أن مدائح المتنبى لسيف الدولة كانت أعلى وأقوى وأجود من مدائحه لغيره ؛ لأن سيف الدولة كان عربيا صليبا شريفا مُمَدَّحَاً ذا فضل ومروءة وشجاعة وهمة عالية فى الذود عن الأمة والعمل على رفعتها وعلوها ٠ ولا أعرف أحدا من الباحثين خاض هذه اللجة أو شمر لها عن ساعد الجد ؛ فبقى هذا الفتح العلمى إلى يومنا هذا كالصيحة التى تستنفر الأبطال ، وتستصرخ عزائم الرجال ، وعسى أن يقوم بها من هذا الجيل وممن بعده من الأجيال من يقيضه الله تعالى لها ويوفقه للوفاء بحقها ٠

ويمكن أن أضيف إلى فكرة النسخ فى الشعر التجارب الأولى للقصيدة، تلك التجارب التى عدل عنها الشاعر أو طورها حتى خرجت القصيدة على الصورة التى أقرها وارتضاها ، وهذا متاح للدارس بالنسبة لكثير من شعر الشعراء المعاصرين الذين يحتفظون بمسودات قصائدهم ، ولاشك فى أن الموازنة بين هذه المسودات أو التجارب الأولى والصورة الأخيرة التى ارتضاها الشاعر للقصيدة تفتح بابا من النظر فيما كان يدور فى عقل الشاعر وهو يردد النظر فى قصيدته ويرجع البصر فيها كرة بعد كرة : لِمَ عَدَلَ عما عَدَلَ عنه ؟ لِمَ حذف ؟ ولم أضاف ؟ ولم بدل كلمة بكلمة وجملة بجملة وبيتا ببيت ؟ وهذا الضرب من التأمل والمراجعة من الشاعر فى شعره يمكن أن نسميه نقد الشاعر لشعره ، فكل شاعر ناقد بالضرورة ؛ لأنه ما من قصيدة إلا وللشاعر فيها نظر ومراجعة وتحبير قد يطول حتى يستغرق عاما كاملا، والشعر الحولى المُحَكَّكُ عند أصحاب الحوليات فى الشعر الجاهلى ، زهير ومدرسته ، صورة لتأصيل هذه الفكرة فى الشعر الجاهلى ، ولكن أين هى تجاربهم وماذا كانوا يُحَكِّكُون وينقحون ويحبرون فى قصائدهم الحولية التى لا يعرضونها على الناس إلا بعد مراجعتها وتنقيحها وصقلها حولا كاملا ؟ ليت التاريخ حفظ لنا شيئا من ذلك ؛ وإنه بذلك لضنين !! لقد ضاع أكثر الشعر الجاهلى نفسُه ولم يصلنا منه إلا أقلُّه ؛ فكيف بمسوداته الأولى ؟

هل يمكن أن يضاف إلى فكرة النسخ فى الشعراء الكلمات التى عدلها النقاد فأثبتها الشعراء كما عدلوها ؟ هل من النسخ فى الشعر ما روى من أن كعب بن زهير لما أنشد المصطفى صلى الله عليه وسلم :

إِنَّ الرَسولَ لَسَيفٌ يُستَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ الهند مَسلولُ

قال له المصطفى صلى الله عليه وسلم " مِن سُيوفِ اللَهِ " فأثبتها كعب فى ديوانه كما قالها المصطفى صلى الله عليه وسلم" مِن سُيوفِ اللَهِ "، الفرق بين الناسخ والمنسوخ كالفرق بين قدرة الهند فى صناعة

السيوف وقدرة الله جل جلاله ؟ سيوف الهند يضرب بها فى الحق والباطل ، أما سيوف الله فلا يضرب بها إلا فى الحق ، وفى إضافة السيوف إلى الله تعالى من التشريف ما لا يُقَادَرُ قَدْرُه ، وهل ثمة عزم وحزم فى إمضاء الحق ودحض الباطل مثل عزم المصطفى صلى الله عليه وسلم وحزمه ؟ سيوف الهند من حديد وسيوف الله تعالى من رجال أصلب فى الحق من الحديد وأقوى وأمضى ، سيوف الله تعالى جنس آخر ، هم الرجال الذين إذا حل أحدهم فى مكان أو موقع كان حربا على الباطل فيصلح الله تعالى به حال العباد والبلاد فى أى مكان ، سيوف الله تعالى كل قائم بالحق على ثغر من ثغور الأمة فى الدين والسياسة والعلم والتعليم والصحة والعسكرية والاقتصاد والزراعة والصناعة والتجارة وفى كل مجال من مجالات الحياة ٠

الحقيقة الثانية : قول المفسرين " إن القرآن يفسر بعضه بعضا " ، وغرس هذه الحقيقة فى دراسة الشعر يعنى أن كلمات الشاعر وتراكيبه وتشبيهاته ومجازاته وكناياته يفسر بعضها بعضا ، ويلزم عن هذا حصر ذلك كله فى لغة الشاعر وإحصائه ، وقد فصل شيخنا هذا الإجمال ولكنه لم يذكر نماذج من كلمات الشاعر التى يفسر بعضها بعضا ، ولانماذج من تراكيبه وتشبيهاته ومجازاته التى يفسر بعضها بعضا ، ولا أعرف أحدا قام بدراسة من هذا النمط فى شعر شاعر ، وإن كان هذا فى الذكر الحكيم بابا واسعا وجديرا بالدراسة البلاغية ، ومن أشهر شواهده فى الذكر الحكيم تفسير الظلم فى آية سورة الأنعام " الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ " (الأنعام٨٢) حين سمعها أبو بكر الصديق رضى الله عنه قال " ومن منا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ " فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم مفسرا الظلم بالشرك لقول الله جل وعلا فى آية سورة لقمان" إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (لقمان١٣) ، والموضوع بحاجة إلى دراسة بلاغية جادة فى الذكر الحكيم ، وإلى دراسات أخرى تقوم به فى الشعر ٠

الحقيقة الثالثة : " علم المناسبة " ، وهو علم يُعْنَى بالنظر فى المناسبة بين سور القرآن الكريم ، والمناسبة بين الآيات فى السورة ، والمناسبة بين مطالع السور وخواتيمها ، والمناسبة بين مطالع السور ومقاصدها ، ومناسبة مطلع الآية لمقصدها ، ومناسبة مطلعها لمقطعها، وهذا كله بحر محيط ، وللعلماء فيه جهود كبيرة ، وبخاصة الرازى والبقاعى وأبى جعفر بن الزبير ، ويمكن الإفادة منه فى دراسة الشعر ببحث العلاقة بين مقدمات القصائد وموضوعاتها ، والمناسبة بين مقدمات القصائد وخواتيمها ، والمناسبة بين الفصول ، والفصل مجموعة من الأبيات فى القصيدة تدور حول معنى واحد ، والمناسبة بين مطلع الفصل وآخره ، والمناسبة بين الأبيات ، والمناسبة بين مطلع البيت ومقطعه يعنى المناسبة بين أوله وآخره ، والمناسبة بين المفردات والجمل المكونة للقصيدة ، وهذا كله من غوامض الشعر ، وقد ضرب شيخنا نماذج لبعض هذه المناسبات فى الشعر ، فجمع بين النظرية والتطبيق ، وعُنِىَ شيخُنا بتربية كوادر علمية جادة فى هذا الباب ، وأثنى على رسالة الفاضل النبيل الدكتور إبراهيم صلاح الهُدهُد عن علاقة المطالع بالمقاصد فى القرآن الكريم ، وهو موضوع رسالته للعالمية " الدكتوراه " ، وأشرف عليه شيخنا زمنا ورضى ما كتب ، ثم نهضت رسائل جامعية كثيرة تطبق هذا على الشعر ، وسيبقى هذا الفتح العلمى يطرقه الجيل بعد الجيل ، وحَرَصَ شيخُنا على تحقيق هذه المناسبات فى دراساته التحليلية كلها ، سواء منها ما كان فى بلاغة القرآن الكريم وما كان فى الدراسات التحليلية للشعر ، وينبغى أن ينقل هذا إلى دراسة البيان النبوى ، وقد خطوت فى هذا خطوة على الطريق ببحث وجيز بعنوان " صور من التناسب فى الحديث الشريف " ، رصدت فيه ست صور من التناسب وحللت فى كل صورة مجموعة من الأحاديث الشريفة ، وهو باب واسع جدا ينبغى أن تنهض به دراسات كثيرة ؛ لأن دراسة واحدة لاتفى به ٠

ثم نقل شيخنا من علم المناسبة إلى دراسة الأدب كلام المفسرين فى تسمية السورة من القرآن العظيم ، فسورة النساء ذُكِرَ فيها من خواص النساء ما لم يذكر فى غيرها ، مع أن النساء ذُكِرْنَ فى سور كثيرة ، قالوا – وهو المهم – إن السور المسماة بحرف من حروف المعجم مثل " ص– ق " إنما سميت بذلك لأن هذا الحرف هو أكثر الحروف دورانا فيها ، ولو نقلنا هذا إلى الشعر لقمنا بفَلْى الشعر مقطعا مقطعا وحرفا حرفا لمعرفة الخصوصيات اللغوية لكل قصيدة ندرسها ، ودراسة الخصوصيات التى يتميز بها كل شاعر وبليغ لاتتم إلا بهذا ٠

٣–بِمَ فاق القرآن الكريم كلام العرب فى كل فن بلاغى؟

ذكر شيخنا فى مقدمة الطبعة الثامنة من كتاب " خصائص التراكيب " أن الرمانى جعل فنون البلاغة كالإيجاز والتشبيه والاستعارة من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وكذا جعلها السيوطى من بعده ، قال شيخنا "وهذا يفتح أبوابا من الدراسة البلاغية لاتزال مغلقة ، وما كان ينبغى أن تظل مغلقة ، وهى دراسة كل فن من فنون البلاغة فى القرآن دراسة تستهدف شيئا واحدا وهو البحث عن الذى وراء هذا الفن فى الكتاب العزيز من الأسرار والدقائق واللطائف فاق به كل كلام وبهر به وقطع ، ولقد دُرِسَتْ هذه الفنون فى الكتاب العزيز ، ولكن الدراسة التى تتوفر على استخراج أسرارها فى الكتاب لم تحدث إلى هذه اللحظة " انتهى٠

شيخنا يعلم يقينا أن هناك دراسات بلاغية كثيرة لفنون البلاغة فى الكتاب العزيز ، وأن هذه الدراسات كشفت عن كثير من الأسرار والدقائق والمعانى واللطائف ، ولكنها لم تكشف بِمَ فاقت هذه الفنون فى الكتاب العزيز كلام العرب ، فكان وجودها فى الكتاب العزيز معجزا قاطعا للأطماع قاهرا للقوىوالقُدَر ، والسبب فى ذلك – فيما أرى – أن دراسة هذه الفنون البلاغية فى الذكر الحكيم كانت بمعزلٍ عن دراستها

فى كلام العرب ، وتحقيقُ كيف كان القرآن الكريم معجزا للعرب لايكون إلا بالجمع بين القرآن الكريم وكلام العرب فى دراسة كل فن بلاغى ومحاولة وضع اليد على لطائف هذا الفن وأسراره الموجودة فى القرآن الكريم وفى كلام العرب وبيان كيف صارت فى القرآن معجزة ، ولاشك فى أن هذا يقتضى التبحر فى معرفة كلام العرب شعره ونثره ، ولعل هذا ما عناه شيخنا حين قال إن هذه الدراسة " لم تحدث إلى هذه اللحظة " ، وأنا أهيب بكل باحث يتناول فنا بلاغيا فى الكتاب العزيز أن يستقصى مسالك العرب فى هذا الفن ثم يوازن ويبين بمَ فاق القرآن الكريم كلام العرب فى هذا الفن ، وهذا مرتقى صعب لاينال إلا بشِقِّ الأنفُس .

٤- استقصاء معانى الشعر بالدراسة البلاغية

المقصود بمعانى الشعر موضوعاته التى يُدَنْدِنُ حولها ويطرقها الشعراء، وهذه المعانى عُنِيَ علماؤنا بالتصنيف فيها تصنيفا مستقلا ، ومن أشهر هذه المصنفات " ديوان المعانى " لأبى هلال العسكرى ، قامت هذه المؤلفات على جمع أجود ما قاله الشعراء فى كل معنى ، أجود ما قالوه فى السحاب والمطر والبحار والأنهار والغدران والشمس والقمر والنجوم والكواكب والأشجار والجبال والصحارى والوديان والسهول ، والفرح والحزن والسعادة والشقاء والحب والبغض والغنى والفقر والزيادة والنقصان والكرم والبخل والشجاعة والجبن .. إلخ ، وهذا تراث كريم وجهدٌ يُذْكَرُ فيُشْكَر ، قام به نفر من كرام علمائنا وأفنوا فيه زهرة أعمارهم وتركوه لنا وللأجيال لنُعْمِلَ فيه عقولنا ونتتبع طرق الشعراء فى الإبانة عن المعانى معنى معنى ، وإذا كان عملهم قام على الاختيار واصطفاء المختار فى كل معنى ، فهذا يعنى أنهم تركوا كثيرا من المعانى الجياد فى أبوابها ، وعليك أنت أن تراجع وتستقصى ما لم يذكروه ، فكم فى الزوايا من خبايا !!

قال شيخنا أبو موسى فى مقدمة الطبعة الثانية من كتابه " التصوير البيانى " : " انظر إلى الناقة عند زهير مثلا ، وتعرف على كيفية صياغتها فى بيانه ، وكيف انتزع منها تشبيهاته ومجازاته ، وكيف تعددت صورها عنده ، وقارن ذلك بما استنبطه غيره منها ، وكيف تأملوا كل شىء فيها ، وانتزعوا منه ما أبانوا به ، فأبانوا بحنينها وإرزامها وتطوافها ولقاحها ونتاجها وأصلابها وأعجازها وأخفافها ٠٠ ومقارنات هذا الباب تكشف أسرارا فى الشعر يروع مذاقها ، تأمل ثور الوحش وقصته مع كلاب الصيد ، وكيف تصرفت الأحوال والأحداث وتشابهت وتباينت عند شاعر واحد كالنابغة ، فضلا عن أن تجعل هذه القصة أصلا للمقارنة عند جملة من الشعراء ، أو تأمل الأوابد والسباع فى تشبيهات الصعاليك ومجازاتهم ، وكيف أبانوا بالذئاب وتناديها فى الخرائب ٠٠ وفى هذه الأبواب مجالات متراحبة لم نتعرض لها لأنها لايحاط بها فى بحث ، بل لا يحيط بها باحث وإنما هى فى حاجة إلى جهود صادقة وصابرة ومتكاملة " انتهى باختصار ٠

هذا مجال فتحه الشيخ لا يحيط به باحث بل يحتاج إلى جمهرة من الباحثين فى جيل وربما أجيال ، وإذا أضيف إليه دراسة المعانى فى الذكر الحكيم وفى كلام المختار صلى الله عليه وسلم وفى كلام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وفى النثر عامة ، كان هذا المجال أوسع وأرحب ٠٠ حديث القرآن عن توحيد الله جل جلاله موضوع واسع ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عنه موضوع واسع ، وحديث الكتاب العزيز عن الرحمة موضوع واسع ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عنها موضوع واسع ٠٠ وكذا يقال فى الحديث عن الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد والصدقة والبر وصلة الرحم والعدل والظلم والموت والحياة والشباب والمشيب والرجال والنساء والحب والبغض والنفاق والكذب والرياء ، والحديث عن الحيوان والطير والنبات ٠٠ إلخ ، معان كثيرة كثيرة ، وأبواب مفتوحة ، كتب تلاميذ

الشيخ والباحثون منها حروفا ولاتزال بحاجة إلى جهود الصادقين الصابرين الجادين ، وكتب شيخنا فى هذا المجال فى كتابه " دراسة فى البلاغة والشعر " دراسة عن المرأة فى شعر الأعشى ، وفى كتابه "الشعر الجاهلى " كتب دراسات عن القوس والشهدة والدُّرّة ، وأن حديث الشعراء عما يسكن الأطلال من الثيران والآرام والعِيْن وما بينها من فروق موضوع جدير بالدراسة ، وذكر فى كتاب المدخل أن مكابدات الإنسان فى شعر هذيل موضوع جدير بالدراسة ، وأن طرائق التشبيه فى قصص الحيوان فى الشعر موضوع جدير بالدراسة ، وفى كتابه "شرح أحاديث من صحيح مسلم أن جمع الأحاديث الشريفة المقرونة بأفعاله صلى الله عليه وسلم موضوع جدير بالدراسة ، وكذا جمع المتشابه من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم موضوع جدير بالدراسة ، وجمع كلام الصحابة الذى فيه ريح النبوة موضوع جدير بالدراسة ٠٠ وهذه الموضوعات لم يطرق الباحثون منها إلا القليل ٠

٥- تمييز المنحول بالاعتماد على خصائص لغة الشاعر

الشعر المنحول هو المدسوس الذى لم يقله الشاعر بل قاله غيره ونسبه إليه ، سواء أكان قصائد كاملة أم أبياتا أم بيتا ، والنحل قضية قديمة نبه عليها النقاد والعلماء بالشعر ، وقُدْرَةُ النقاد والعلماء بالشعر على تمييز الشعر المنحول مذكورة فى كتب القوم ولهم فيها حكايات تدل على قوة العارضة والحذق والمهارة فى تمييز هذا المنحول بمااستقر عندهم من الخبرة ببحر كل شاعر وطريقته وسَمْتِه الذى يتميز به فى شعره ويجعل له سورا يحصن شعره من كل دخيل مدسوس عليه ، وليس هناك سبيل إلى تمييز المنحول على شعر الشاعر – إن لم تسعف الروية بتحديده – إلا هذا ٠

وقد كثر الكلام على الانتحال فى الشعر ، وأكثره معاد مكرور ، يدخل فيه اللاحق على السابق ، وكأن كلامهم جميعا كلام رجل واحد ، خرج من لسان واحد ، وفكر واحد ، ولو أنهم سلكوا هذا الطريق الذى وصفه العلامة أبو موسى ، وهو الاستدلال على المنحول بمخالفته خصائص لغة الشاعر وسَمْتَه فى شعره لأضافوا فكرا جديدا ، ولكنهم سلكوا الطريق السهل الرهو الذى لا يكلف الكدَّ والكدح وعرق الجبين وسهر الليالى لمعرفة خصائص الشاعر وسمته حتى يتيسر لهم تمييز المنحول المدسوس عليه من الشعر ٠

معرفة المنحول من شعر عنترة ، طريقُهُ – إن أبطأت الرواية الصحيحة بمعرفته – هو العكوف على شعر عنترة وطول النظر فيه والمراجعة ، ولا يكفى فى ذلك أن أقرأ ديوانه مرة أو مرتين أو مرات ، بل لابد من أن أجعل هذا الشعر سميرى وأنيسى وجليسى ، وأن أَفْلِيَ قصائده وجمله وتشبيهاته ومجازاته وكناياته وفنون البديع عنده لأتعرف على طريقة نسجه وسبكه وتصويره ، حتى يُكَوِّنَ ذلك عندى صورة للمنوال الذى ينسج عليه والوادى الذى يسبح فيه والسماء التى تحلق فيها طيرُه ، ومتى يعلو شعره ومتى ينزل ، وأعرف طريقته فى معنى معنى ٠٠ بهذا يمكننى أن أن أميز المنحول من شعره ٠

وإن أعجب فعجبى لا ينقضى من الشعراء والعلماء بالشعر فى عصور العربية الزاهرة ، كيف كانوا يفطنون إلى تمييز هذا المنحول على شعر الشاعر بما أوتوا من ملكات بيانية وطبيعة فى تذوق الشعر وبما رُزِقُوا من سداد وإصابة ، ولاشك فى أن ملكاتهم البيانية وقدراتهم العالية على تذوق الشعر كانت شيئا مبهرا جدا ، وأن الذى بيننا وبينهم فى ذلك فرقٌ كبير جدا ، كالفرق بين القارىء الماهر بالقرآن الذى هو مع السفرة الكرام البررة ، والقارىء الذى يتتعتع بالقرآن وهو عليه شاق، ولم أقرأ دراسة واحدة قامت على هذا فى تمييز المنحول من شعر الشاعر٠

ومن أشهر النماذج للشعر المنحول التى نقلها شيخنا عن الخطابى فى كتابه بيان إعجاز القرآن ، وذكرها كثير من كتب الأدب ، ما روى من أن جريرا مر بذى الرُّمَّة وقد عمل قصيدته التى أولها :

نَبَت عَيناكَ عَن طَلَلٍ بِحُزوى   عَفَتهُ الريحُ وَاِمتَنَحَ القِطارا

فقال جرير ألا أنجدك بأبيات تزيد فيها ، فقال : نعم ٠ فقال :

يَعُدُّ الناسِبُونَ إِلى تَميمٍ   بُيُوتُ العِزِّ أَربَعَةً كِبارا

يَعُدّونَ الرِبابَ لَهُم وَعَمراً   وَسَعداً ثُمَّ حَنظَلَةَ الخِيارا

وَيَهلِكُ بَينَها المَرئِيُّ لَغواً   كَما أَلغَيتَ في الدِيَةِ الحُوارا

فوضعها ذو الرمة فى قصيدته ، ثم مر به الفرزدق ، فسأله عما أحدث من الشعر ، فأنشده القصيدة ، فلما بلغ هذه الأبيات ، قال : ليس هذا من بَحْرِك ، مُضِيْفُها أشدُّ لَحْيَيْنِ منك ! فاستدركها الفرزدق بطبعه ، وفطن لها بلُطْفِ ذهنه ٠ انتهت الرواية ، وذكرها شيخنا فى ص ٧٠ من كتابه الماتع " دراسة فى البلاغة والشعر " ٠

ولكن ما الذى تختلف به هذه الأبيات الثلاثة عن قصيدة ذى الرمة ؟ وكيف كانت مغايرة لسَمْتِه فى شعره ؟ هذا يحتاج إلى سكون طائر وخفض جناح كما كان يقول الباقلانى رحمه الله تعالى ، وأشير هنا إشارات قد تفيد فى الإجابة عن هذا وإن لم تكن هى الإجابة الكافية الشافية ؛ لأن الإجابة الكافية الشافية تحتاج إلى عكوف على شعر ذى الرمة لتحديد خصائصه التى جاءت هذه الأبيات خالية منها ومغايرة لها، وهذا أمر شاق جدا ، ودونه أهوال ، فحسبى هذه الإشارات التى تحتمل الخطأ والصواب ، حتى يقيض الله تعالى للقيام بهذا من هم أهل له ٠

لابد أولا من استحضار القصيدة واستحضار المناسبة التى قيلت من أجلها ٠ ذكرت كتب الأدب كالأغانى والأمالى وحلية المحاضرة والعمدة أن الهجاء لَجَّ بين ذي الرمة وهشام المَرْئِيّ – أى من قبيلة امرىء القيس – ونَحَلَ جرير هشاما أبياتا فى هجاء ذى الرمة ، فلما أنشد

المرئي هذه الأبيات وسمعها ذو الرمة قال: كذب العبد السوء! ليس هذا الكلام له، هذا كلامٌ نجديٌّ حنظلي، هذا كلام ابن الأتان – يعنى جريرا – فلقى ذو الرمة جريراً فقال له: تَعَصَّبُ للمرئي وأنا خالك! فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له جرير: اذهب الآن فقل للمرئي:

يَعُدُّ الناسِبــونَ إلى تَميمٍ　　　بُيــوتُ العِــزِّ أَربَعَةً كِبــارا
يَعُدّونَ الرِبابَ لَهُم وَعَمراً　　　وَسَعــداً ثُمَّ حَنظَلَةَ الخيــارا
ويَهلِكُ بينَها المَرئيُّ لَغواً　　　كَما أَلغيتَ في الدّيَةِ الحُوَارا

فقال ذو الرمة قصيدته التي أولها:

نَبَت عَيناكَ عَن طَلَلٍ بِحُزوى　　　عَفَتهُ الريحُ وَامتَنَحَ القِطارا

وألحق فيها هذه الأبيات ، فلما أنشدها وسمعها المرئي جعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بويله وحربه ويقول: ما لي ولجرير! فقيل له: وأين جريرٌ منك! هذا رجل يهاجيك وتهاجيه! فقال: هيهات! لا والله ما يحسن ذو الرمة أن يقول:

ويَهلِكُ بَينَها المَرئيُّ لَغواً　　　كَما أَلغيتَ في الدّيَةِ الحوارا

هذا والله كلام جرير ما تعداه قط.

هذه مناسبة القصيدة بإيجاز ، أما القصيدة فهى :

نَبَت عَينــاكَ عَن طَلَلٍ بِحُــزوى　　　عَفَتــهُ الريــحُ وَامتَنَحَ القِطارا
بِهِ قِطَــعُ الأَعِنَّــةِ وَالأَثــافي　　　وَأَشعَثُ خــاذِلٌ فَقَـدَ الإِصــارا
كَأَــنَّ رُســومَهُ بُسِطَت عَلَيــها　　　ثِيــابُ الوَشيِ أَو لَبِسَ النِمــارا
مَنَــــازِلُ كُــلِّ آنِسَــــةٍ رَداحٍ　　　يَزينُ بَيــاضُ مَحجِرِها الخِمارا
تَبَسَّــمُ عَن أَشَــانِبَ واضِحاتٍ　　　وَمَيضَ البَرقِ أَنجَـدَ فَاستَطارا
أَوانِسَ وُضَّــحِ الأَجيــادِ عيــنٍ　　　تَرى مِنهُنَّ في المُقَلِ اِحوِرارا
كَــأَنَّ حِجــالَــهُنَّ أَوَت إِلَيــها　　　ظِبــآءُ الرَمــلِ باشَرنَ المَغارا
أَعَبدَ بَني اِمرِئِ القَيسِ اِبنَ لُؤمٍ　　　أَلَم تَســأَل قُضــاعَةَ أَو نِزارا
فَتُخبَــرَ أَنَّ عيــصَ بَني عَديٍّ　　　تَفَرَّعَ نَبتُــهُ الحَسَبَ النُضــارا
وَأَنَّ بَني اِمرِئِ القَيسِ اِبنِ لؤمٍ　　　أَبَت عيــدانُــها إِلّا اِنكِســارا

وَأَنّي حينَ تَزخَــرُ لي رِبابي   عَماعِمَ أَمنَــعُ الثَقلَيــنِ جــارا
أُناسٌ أَهلَكــوا الرُؤَسآءَ قَتلاً   وَقادوا الناسَ طَوعا وَاِعتِسارا
أُناسٌ إِن نَظَــرتَ رَأَيتَ مِنُهم   وَرآءَ حِمــايَ أَطــوادا كِبــارا
وَمِن زَيدٍ عَلَــوتُ عَلَيكَ ظَهراً   جَسيمَ المَجــدِ وَالعَــدَدَ الكُثارا
أَنا اِبنُ الراكِــزينَ بِكُــلِّ ثَغرٍ   بَني جَــلٍّ وَخــالُ بَني نَــوارا
وَتَزخَرُ مِن وَرآءِ حِمايَ عَمرٌو   بِذي صُــدَّينِ يَكتَــفِئُ البِحــارا
يَعُــدُّ النــاسِبــونَ إِلى تَميــمٍ   بُيــوتَ العِــزِّ أَربَعَــةً كِبــارا
يَعُــدّونَ الرِبــابَ لَهُم وَعَمراً   وَسَعــداً ثُمَّ حَنظَلَــةَ الخِيــارا
وَيَهلِكُ بَينَها المَــرَئِيُّ لَغــواً   كَما أُلغيتَ في الدِيَةِ الحــوارا
هُمُ وَرَدوا الكُلابَ وَلَستَ مِنهُم   وَلا في الخَيلِ إِذ عَلَتِ النِسارا
نَقُــدُّ بِها الفَــلاةَ وَبِالمَطايــا   إِلى الأَعــدآءِ يَنتَظِرُ الغِوارا
وَنَحنُ غَداةَ بَطنِ الخَوعِ فِئنا   بِمَــودونٍ وَفارِســهِ جِهارا
عَزَزنــا مِن بَني قَيسٍ عَلَيهِ   فَــوارِسَ لا يُريدونَ الفِرارا
نَكُرُّ عَلَيــهِمُ وَالخَيــلُ تَردي   تَرى فيها مِنَ الطَعنِ اِزوِرارا
أَبو شَعلٍ وَمَسعــودٌ وَسَعــدٌ   يُرَوّونَ المُــذَرَّبَةَ الجِــزارا
فَجِئ بِفَــوارِسٍ كَالآلِ مِنكُم   إِذا التَمجيــدُ أَنجَدَ ثُمَّ غــارا
وَمِثلِ فَــوارِسٍ مِن آلِ جَلٍّ   إِذا ما الحَــربُ رَفَّعَتِ الإِزارا
وَجِئ بِفَوارِسٍ كَبَني شِهابٍ   وَمَسعَــدَةَ الَّذي وَرَدَ الجِفارا
فَجآءَ بِنِسوَةِ النُعمانِ غَصباً   وَسارَ بِحَيِّ كِندَةَ حَيثُ ســارا
أُولاكَ فَــوارِسٌ رَفَعــوا مُحَلّىً   وَأَورَثَكَ اِمرُؤُ القَيسِ الصَغارا
جَلَبنــا الخَيــلَ مِن كَنَفَي حَفيرٍ   عِراضَ الخَيلِ تَعتَسِفُ القِفارا
بِكُــلِّ طِمِــرَّةٍ وَبِكُــلِّ طِــرفٍ   يَزينُ مَفيــضُ مُقلَتِهِ العِــذارا
فَرَعــنَ الحَــزنَ ثُمَّ طَلَعنَ مِنهُ   يَضَعنَ بِبَطنِ عاجِنَــةَ المِهارا
أَجِنَّــةَ كُلِّ شــازِبَةٍ مِــزاقٍ   طَواها القَودُ وَاِكتَسَتِ اِقوِرارا
يُقَدُّ عَلى مُعَــرقَبِــها سَــلاها   كَقَدِّ البُــردِ أَنهَــجَ فَاِستَطارا
نَزَرنَ بِمَرأَةٍ عَمــرَو بنَ هِنــدٍ   وَهُنَّ كَــذاكَ يُبعِــدنَ النِزارا

وكُــلّ قَتيــلِ مكرُمَــةٍ قَتــلَنــا وأكثَــرنا الطَلاقَــةَ وَالإِســـارا
أَتَفخَــرُ يا هِشــامُ وأَنتَ عَبـدٌ وَغــارُكَ أَلأَمُ الغيــرانِ غــارا
وكَانَ أَبــوكَ ســاقِطَــةً دَعيّــاً تُــرَدَّدُ دونَ مَنصِبِــهِ فِخــارا
نَفَتــكَ هَــوازِنٌ وبَنـو تَميــمٍ وَأَنكرَتِ الشَمــائِلَ وَالنُجــارا
أَفَخــراً حِينَ تَحمِــلُ قَريَتــاكُم وَلُؤماً في المَواطِنِ وَاِنكِسارا
مَتى رَجَتِ اِمرُؤُ القَيسِ السَرايا مِنَ الأَخلاقِ أَو حَمَتِ الذِمارا
أَلَستُــم أَلأَمَ الثَقَــلَيــنِ كَهــلاً وَشُبّــاناً وَأَلأَمَهُــم صِغــارا
تُبَيّــنُ نِسبَــةَ المَرئيّ لُــؤمــاً كَما بَيَّنــتَ في الأَدَمِ العُــوارا
إذا نَسَبــوا إِلى العَلياءِ قالــوا أُولاكَ أَذَلُّ مَن حَصَبَ الجِمارا
أَلا لَعَــنَ الإِلَــهُ بِذاتِ غِســلٍ وَمَــرأَةَ ما حَدا اللَيلُ النَهارا
نِسآءَ بَني اِمرِئِ القَيسِ اللَواتي كَسَوَن وجوهَهُم حُمَماً وَقارا
أَضَعنَ مَــواقِتَ الصَلَواتِ عَمداً وَحالَفنَ المَشاعِلَ والجِــرارا
إِذا المَــرئِيُّ شَبَّــت لَهُ بَنــاتٌ عَصَبنَ بِرأَسِــهِ إِبَةً وَعارا
إِذا المَرئِيُّ سِيــقَ لِيَــومِ فَخرٍ أُهينَ وَمَــدَّ أَبواعــاً قِصارا
إِذا مَــرئِيَّــةٌ وَلَدَت غُــلامــا فَأَلأَمُ مُرضَــعٍ نُشِغَ المَحارا
تُنَشَّــأُ مِن تَرآئبِ شَــرٍّ فَحــلٍ وَحَلَّ بِشَرٍّ مُرتَكَضٍ قَــرارا
إِذا المَرئي شُــقَّ الغِرسُ عَنهُ تَبَــوَّأَ مِن دِيارِ اللُــؤمِ دارا
إِذا ما شِئــتَ أَن تَلقى لَئيــما فَأَوقِــد يَأتِكَ المَرَئِيُّ نــارا

واضح أن الأبيات الثلاثة التى نحلها جرير ذا الرمة لاتزال قارَّةً فى القصيدة ، وهى الأبيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، وواضح أن القصيدة فى هجاء المرئى ، وهو هشام بن امرىء القيس ، والمرئى نسبة إلى امرىء القيس ، وواضح أن مقدمتها سبعة أبيات فى الغزل ، قطعها ذو الرمة ودخل إلى هجاء المرئى فى البيت الثامن :

أَعَبدَ بَني اِمرِئِ القَيسِ اِبنَ لُؤمٍ أَلَم تَســأَل قُضــاعَةَ أَو نِزارا

ولايخفى ما فى نداء هشام بـــ " أَعَبدَ بَني اِمرِئِ القَيسِ " ووصفه بأنه "ابن لؤم " – لا يخفى ما فى هذا من التهكم والسخرية ، وحسبك أنه نسبه إلى اللؤم كما ينسب المرء إلى أبيه !! وواضح أن الأبيات من ٨ – ١٣ وهى ست أبيات جملة واحدة ؛ لأن قوله " ألم تسأل قضاعة أو نزرارا ؟ " هو المقصود الذى من أجله ناداه بـــ " أَعَبدَ بَني اِمرِئِ القَيسِ " ، وقوله " فَتُخَبرَ أَنَّ عيصَ بَني عَديٍّ " جواب الاستفهام ، وقوله " وأن بنى امرىء القيس " معطوف على قوله " أن عيص بنى عدىّ " ، وقوله " وَأَنّي حينَ تَزخَرُ لي رِبابي " معطوف على " وأن بنى امرىء القيس " وأن قوله " أُناسٌ أَهلَكوا – أُناسٌ إِن نَظَرتَ رَأَيتَ مِنُهم" صفتان لـــ " ربابى " فى قوله " وَأَنّي حينَ تَزخَرُ لي رِبابي " ، والسياق : أعبد بنى امرىء القيس ابن لؤم ألم تسأل ‥ فتخبر أن عيص بنى عدى تفرع نبته ‥ وأن بنى امرىء القيس ابن لؤم أبت عيدانها إلا انكسارا ‥ وأنى حين تزخر لى ربابى ‥ أُناسٌ أَهلَكوا – أُناسٌ إِن نَظَرتَ رَأَيتَ مِنُهم " ، وهذا مما سماه الإمام عبد القاهر النمط العالى والباب الأعظم الذى ترى سلطان المَزِيَّةِ يَعْظُمُ فيه ، وهذا يفسر لِمَ بنى جرير الأبيات الثلاثة التى نحلها ذا الرمة بناء يجعلها جملة واحدة ؛ لأنه ذكر فى البيت الأول منها أن الناسبين يعدون بيوت العز فى تميم أربعة كبارا ، وجاء البيت الثانى بيانا لهذه البيوت الأربعة الكبار ؛ ولذا فُصِلَ عنه كما يفصل البيان عن المبيَّن ، فقال :

يَعُدّونَ الرِبابَ لَهُم وَعَمراً وَسَعـداً ثُمَّ حَنظَلَةَ الخيـــارا

وبهذا سل من هذه البيوت الأربعة الكبار هشاما المرئى ونفى عنه العز نفيا باتا ؛ لأنه ليس من هذه البيوت الأربعة فقال :

وَيَهلِكُ بَينَها المَرَئِيُّ لَغواً كَما أَلغَيتَ في الدِّيَةِ الحوارا

وهذا يعنى أن جريرا حين غرس هذه الأبيات فى قصيدة ذى الرمة أو حين غرسها ذو الرمة فى قصيدته اصطفى لها الموضع الذى يكون بناؤها فيه من جنس بناء الأبيات التى قبلها لئلا تكون غريبة قلقة ينبو

بها مكانها ، وهذا أول ما ينبيك عن مهارة جرير فى هذه الأبيات الثلاثة، ومما ينبيك عن مهارته أيضا أنه أقام البيتين الأول والثانى على أسلوب التفصيل بعد الإجمال ، الإجمال فى قوله إن بيوت العز أربعة كبار ، والتفصيل فى تسمية هذه البيوت الأربعة بيتا بيتا فى قوله :

يَعُدّونَ الرِبابَ لَهُم وَعَمراً وَسَعـداً ثُمَّ حَنظَلَةَ الخيـارا

وهذه البيوت الأربعة هى التى نثرها ذو الرمة فى القصيدة قبل الأبيات المنحولة وبعدها ، فقبلها فى البيتين الحادى عشر ، والسادس عشر :

وَأَنّي حينَ تَزخَـرُ لي رِبـابي عَمـاعِمَ أَمنَـعُ الثَقلَينِ جارا

وَتَزخَرُ مِن وَرآءِ حِمايَ عَمرٌو بِذي صُـدَّينِ يَكتَفِئُ البِحارا

فهذا بيت الرباب وهذا بيت عمرو ، ثم ذكر " سعداً " فى البيت الخامس والعشرين :

أَبو شَعل وَمَسعـودٌ وَسَعدٌ يُروَوِّنَ المُـذَرَّبَةَ الجزارا

لم يبق إلا البيت الرابع " حنظلة " الذى لم أجد له ذكراً فى القصيدة إلا فى الأبيات المنحولة .

وأما " تميم " التى يفخر بها جرير فى قوله " يَعُدُّ الناسِبـونَ إِلى تَميمٍ " فذكرها ذو الرمة فى قوله فى البيت الأربعين " نفتك هوازن وبنو تميم " ، وأما هشام المرئى الذى هجاه جرير فى قوله " وَيَهلِكُ بَينَها المَرَئِيُّ لَغواً " فقد هجاه ذو الرمة مصرحا باسمه أو بأنه من بنى امرىء القيس أو ناسبا إياه إلى هذه القبيلة بلفظ " المرئى " فى اثنى عشر بيتا فى القصيدة .

وبيت جرير :

وَيَهلِكُ بَينَها المَرَئِيُّ لَغواً كَما أَلغَيتَ في الدِّيَةِ الحوارا

حذاه على حذو قول ذى الرمة فى هذه القصيدة :

تُبَيِّنُ نِسبَـةَ المَرئيِّ لُؤماً كَما بَيَّنتَ في الأَدَمِ العُوارا

وبيت جرير فى الهجاء مِيْسَمُهُ ألذع ، وبه علا على كل هجاء قاله ذو الرمة فى هشام المرئى حتى أتى هشام جريرا وأتاه بنو امرىء القيس

يعتذرون إليه ، وحسبك من هجاء أن يكون الرجل بين الرجال ساقطا لاعتداد به ، وأن يكون سقوطه مُشَبَّهَاً بسقوط " الحُوَار " – أى الفصيل – فى الديات وعدم الاعتداد به ، وهذا ينسجب على قبيلة امرىء القيس كلها فهى تهلك بين بيوت المجد والعز لغوا كما تلغى الفصلان فى الديات ، وليس فى القصيدة على طولها هجاء ألذع من هذا وأمَرّ ؛ ولهذا قال الفرزدق إن هذه الأبيات ليست من بحر ذى الرمة؛ لأن لها فى الهجاء وقعا ولذعا ونكاية لم تُؤلَفْ فى شعر ذى الرمة ، ووراء هذا بلاريب تتبع واستحضار للمعانى التى هجا بها ذو الرمة هشاما المرئى وغيره ، فليست معانى هذه الأبيات الثلاثة من البحر الذى يغترف منه ذو الرمة ؛ ولذا كانت وسط قصيدته أضوأ وأزهر ، وكانت أبيات ذى الرمة منها كالخامل بجوار النابه الذِّكْر وكالمغمور فى حضرة النجم المشهور ، وهذا ما أفهمه من قول الفرزدق " مُضيِفُها أشدُّ لَحْيَيْنِ منك ! " أى الذى أضافها ووضعها فى قصيدتك أقوى عارضة فى الهجاء منك.

وثمة وجه آخر فى تأويل كلمة الفرزدق وهو أن القصيدة لا تخلو أبياتها من قوة وصلابة وحزونة ووعورة ، أما هذه الأبيات الثلاثة فهى من السهل الذى أحرز به جرير هذا المعنى الذى هو ألذع وأنكى فى الهجاء ، حازه بعبارة سهلة قريبة دانية ، وهذا من طبع جرير الذى قال عنه النقاد إنه " يغرف من بحر " ، وليس هذا طبع ذى الرمة الذى يسلك مسلك القوة والجزالة فى شعره ، كالقوة والجزالة التى تراها فى قوله فى هذه القصيدة :

أَجنَّـــةَ كلِّ شازِبَـــةٍ مـــزاقٍ طَواها القَودُ وَاكتَسَت اَقوِرارا
يُقَـــدُّ عَلى مُعَرقَبِها سَـــلاها كَقَـــدِّ البُــردِ أَنهَجَ فَاستَطارا

وبمراجعة هذه الكلمات الثلاث (تميم – بيوت – العز) التى جاءت فى قول جرير :

يَعُدُّ الناسِبـــونَ إِلى تَميمٍ بُيـــوتُ العِــزِّ أَربَعَةً كِبــارا

نجد أن هذه الكلمات أكثر دورانا فى شعر جرير عنها فى شعر ذى الرمة ، فــ " تميم " وردت فى شعر جرير ٥١ مرة ، وفى شعر ذى الرمة ٦ مرات ، وكلمة " بيوت " وردت فى شعر جرير ٣ مرات ولم ترد فى شعر ذى الرمة إلا فى هذا البيت المنحول ، وكلمة " العز " وردت فى شعر جرير ١٠ مرات وفى شعر ذى الرمة ٣ مرات ، ثم إن الإضافة فى " بيوت العز " لم ترد لا فى شعر جرير ولا فى شعر ذى الرمة إلا فى هذا البيت المنحول ، ولكن فى شعر جرير ما يقوى نسبتها إليه ؛ لأن " بيوت العز " أشبه بــ " جبال العز " التى وردت فى شعر جرير ثلاث مرات ، قال :

وَإِنَّ لَنا نَجداً وَغَورَ تِهامَةٍ نَسوقُ جِبالَ العِزِّ شُمّاً هِضابُها

وقال أيضا :

فَوارِسُ قَيسٍ يَمنَعونَ حِماهُمُ وَفيهِم جِبالُ العِزِّ صَعبٌ وُعورُها

وقال أيضا :

فَإِنَّ جِبالَ العِزِّ مِن آلِ خِندِفٍ لِقَيسٍ فَقَد عَزَّت وَعَزَّ نَصيرُها

" جبال العز " و " بيوت العز " أقرب إلى أن يكون صدرُهما عن نبع واحد ولسان واحد ، وقد عكس جرير " بيوت العز " بــ " بيوت الذل " فى قوله يهجو مجاشعا :

إِذا حَلّوا زَرودَ بَنوا عَلَيها بُيوتَ الذُلِّ وَالعَمَدَ القِصارا

وهذا أيضا يقوى نسبة " بيوت العز " إليه .

كانت هذه إشارات عجلى لم تسلك الطريق الأرشد الذى هو تتبع خصائص ذى الرمة فى شعره وتتبع خصائص جرير فى شعره للتحقق من نسبة هذه الأبيات الثلاثة إلى جرير وتأكيد أنها منحولة على شعر ذى الرمة ، وحسبى أنها فتحت نافذة قد يطل منها أحد النابهين إذا رام تحقيق القول فى ذلك .

وفى ختام الحديث عن هذا الفتح أشير إلى أمرين :

الأمر الأول : أن معرفة خصائص شعر الشاعر كما تفيد فى معرفة المنحول عليه من الشعر ، فإنها تفيد أيضا فى تحديد نسبة القصيدة أو الأبيات أو البيت الذى ترددت نسبته فى كتب التراث بين شاعرين أو أكثر ، وما أكثر هذا فى تراثنا ، ومن عانى تحقيق كتاب من كتب التراث يعرف هذا عين اليقين ٠

الأمر الثانى : الرجوع بهذا الفتح إلى أصوله ومصادره التى استقى منها شيخنا العلامة ، وهى كثيرة ، ولعل أبرزها رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابى وكتاب إعجاز القرآن للباقلانى ؛ لأن شيخنا رأى الخطابى يبحث عن البلاغة الخاصة بالقرآن الكريم يعنى البلاغة الموجودة فى القرآن فقط وليست موجودة فى كلام العرب ، وهذا فتح الطريق أمام شيخنا للنظر فيما ينفرد به كل متكلم فى كلامه من خصائص وسمات ، فإذا قرأت شعر زهير وجدت زهيرا فى شعره وإذا قرأت شعر النابغة وجدت النابغة فى شعره ، فإذا قرأت القرآن الكريم لم تجد إلا الله جل جلاله ، لم تجد أثرا للنفس البشرية التى كنت تراها فى الشعر ، هكذا يقول شيخنا الذى عكف على هذين الأصلين النفيسين وهما من أقدم وأهم ما وصلنا مما كتبه أعلام الأمة فى إعجاز القرآن الكريم ؛ لذلك أدار شيخنا حولهما دراسات عديدة فيما ألف ، تناولهما بالتفصيل فى كتابه القيم " الإعجاز البلاغى دراسة فى تراث أهل العلم"، ثم كتب بأَخَرَةٍ عن الإعجاز عند الباقلانى فى كتابه " مراجعات فى أصول الدرس البلاغى " ، وكتب بأخرة أيضا عن الخطابى والرمانى سلسلة مقالات فى مجلة الأزهر فى هذا العام الهجرى ١٤٣٧ هـ ٠

وللباقلانى نصوص كثيرة تعتبر أصلا لهذا الفتح من مثل قوله :

" فلا يخفى عليهم – يعنى أهل العلم – ما يختص به كل فاضل تقدم فى وجه من وجوه النظم ، من الوجه الذى لايشاركه فيه غيره ، ولايُساهمُه سواه "(إعجاز القرآن للباقلانى ت سيد صقر ص ١٢٣)٠

" ثم إنهم يعلمون أيضا من له سَمْتٌ بنفسه ، ورَفْتٌ برأسه ، ومن يقتدى فى الألفاظ أو فى المعانى أو فيهما بغيره ، ويجعلُ سواه قدوةً له٠٠ وهذه أمور مُمَهَّدَة عند العلماء وأسبابٌ معروفةٌ عند الأدباء ٠٠ وقد قال القائل :

للحرب والضرب أقوامٌ لها خُلِقُوا   وللدواوين كُتابٌ وحُسَّابُ

ولكل عملٍ رجالٌ ، ولكل صنعةٍ ناسٌ ٠٠ ولكن قلَّ من يميز هذا الفن خاصة ، وذهب من يحصل هذا الشأن إلا قليلا " (السابق ١٢٥ مختصرا) ٠

ولشيخنا أبى موسى فضلُ إحياء هذه النفائس وبعث هذه الفكرة فى واقعنا العلمى المرير ليرى نورها هذا الجيل المُغَيَّب فى ظلمات "التنوير" و" الحداثة " ٠ وبالله نستدفع البلايا ٠

٦- دراسة النثر باب فسيح ينغلق على كثير من الأسرار

عُنِيَت أكثر الدراسات الأدبية والبلاغية بالشعر ؛ لأنه ديوان العرب ومَعْدِنُ الأدب ، ولم يحظ النثر برُبع ما حَظِيَ به الشعر من العناية بالدراسة الفاتحة لمغاليق أسراره ، ولاتزال للدراسات فى الشعر اليد الطولى والقَدَح المُعلَّى ، ولاتزال الدراسات البلاغية التحليلية فى النثر أضواء خافتة وشذرات مبعثرة فى ساحة الدراسات البلاغية المعاصرة٠ وقد هُدِىَ شيخُنا من بداية طريقه الذى شقه لنفسه فى الدرس البلاغى إلى الدراسة التحليلية للنثر وإلى أنها لا تقل عن الدراسة التحليلية للشعر ، فنشر منذ ما يقرب من أربعين سنة فى الطبعة الأولى من كتابه " قراءة فى الأدب القديم " عام ١٩٧٨ م دراسة تحليلية فى النثر فحلل قبسا من الهدى النبوى من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كماحلل خطبة لأبى بكر رضى الله عنه ، وقال فى المقدمة " إن دراسة النثر باب فسيح لا يزال ينغلق على كثير من الأسرار " ٠

ثم سلك الباحثون من طلاب الدراسات العليا بجامعة الأزهر وغيرها هذا الطريق ، فقامت رسائل لدراسة الخصائص البلاغية فى كلام بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر ابن عبد العزيز ، وفى كلام بعض التابعين كالحسن البصرى وفى كلام بعض أقطاب التصوف من ذوى البلاغة العالية كابن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم العطائية ، ولايزال هذا الباب مفتوحا لم يدرس منه إلا أقل القليل ، وهو مشروع علمى ينبغى أن تنصرف إليه كثير من الرسائل العلمية ، وفيه خير كثير ؛ لأن جيل الصحابة رضى الله عنهم خير الأجيال وخير القرون الفاضلة ، وكلامهم من البلاغة فى ذروة سنامها ، فهم الجيل الذى نزل فيه الذكر الحكيم ، وهم الجيل الذى تحداه الله تعالى بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ، وكان هذا التحدى شهادة من الله جل وعلا لهم بأنهم أعلى جيل فى البلاغة والبيان وأنه لن يأتى على العربية زمان أو جيل يساويهم فيها ، فضلا عن أن يربو عليهم ، وإنى لأرجو أن تتضافر جهود الأساتذة والباحثين فى هذا الباب ، لأن كلامهم رضى الله عنهم يجمع بين البلاغة العالية والهداية التى تنير للأمة ما أطبق عليها من ظلمات فى شتى جوانب الحياة ، وقد شهد لهم المعصوم صلى الله عليه وسلم بأنهم كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، ينبغى أن ندرس بلاغة كلام أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وبخاصة كلام أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها ، وأن ندرس كلام آل البيت لأن فيه عبقاً من كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والبحوث البلاغية التى تدخل فى هذا كثيرة جدا وثرية جدا ، وهذا خير آلاف المرات من دراسة البنية التحتية عند تشومسكى والانزياح الاستعارى فى شعر فلان والسرد فى شعر امرىء القيس والتناص فى شعر البارودى .. إلخ هذا الغثاء الذى يُصَبُّ على الناس صبا ، وقد تهافت الطلاب عليه ليسره وسهولته ، فلا يكلف البحث من هذا رهقا .

ومن ثمار هذا التوجيه الذى أغرى به الشيخ طلاب العلم أن اتجهت دراسات بلاغية للنثر الأدبى فى عصوره المختلفة ، فقامت دراسات ورسائل علمية عن البلاغة فى كلام أكثم بن صيفى وفى وصايا المُعَمَّرِين وفى رسائل أبى العلاء والصابى وابن العميد وعبد الحميد الكاتب وغير ذلك كثير ، وهذا أيضا باب فسيح جدا ولاتزال الجهود البلاغية فيه متواضعة جدا ، راجع الجمهرتين : جمهرة خطب العرب وجمهرة رسائل العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام لأحمد زكى صفوت، تجد مادة ثرية من النثر لاتزال مادة خصبة ورياضا أُنُفاً للدرس البلاغى، ثم راجع أدب النابهين من أعلام هذا الجيل كالرافعى والمنفلوطى ومقالات العلامة محمود محمد شاكر وغيرهم فستجد رياضا أُنُفاً للدرس البلاغى أيضا ٠

٧- التحليل البلاغي للغة العلم

مما ابتُلِي بِهِ الجيلُ ما أذاعهُ وأشاعهُ نفرٌ ممن لهم كلمةٌ مسموعةٌ في الحياة الأدبية والثقافية المعاصرة من أن لغة العلم شئ ولغة الأدب شئ آخر ، فلغة العلم لغةٌ تقريريةٌ جافةٌ خاليةٌ من التشبيه والتمثيل والتصوير ، بعيدةٌ كل البعد عن التأنُق في اصطفاء العبارة وانتقاء الكلمة وتركيب الجملة ، لغة تخاطب العقل ولا تداعب العواطف ، أما لغة الشعر فلغة التصوير والتشبيه والتمثيل ، لغة تداعب العواطف أكثر مما تخاطب العقول بالحجج القاطعة والبراهين الدامغة ، وشاع هذا فى الجيل واستقر فى الكتب المدرسية التى لاينجح الطالب إلا إذا وَعِيَ ما فيها وحفظه واستودعه عقله ، وكان عاقبة هذا الفصام النكد أن انصرف طلاب العلم والباحثون والدارسون إلي تحليل لغة الشعر والأدب وأشاحو بوجوههم عن لغة العلم ، وازدادت لغة البحث العلمي حتي فى فروع اللغة والأدب والبلاغة وهناً على وهن ، وسوءاً على سوء، وجفافاً على جفافْ ، بل دب فيها اللحن والفساد لا في بلاغة العبارة

فحسب بل في الصحة النحوية والإملائية ،فكثرت الأخطاء النحوية والصرفية والمعجمية والإملائية في البحوث العلمية والرسائل الجامعية، فنشأت أجيال ضعيفة ركيكة الفكر ركيكة اللغة ، لأن الضعف يغري بالضعف ، كما تغري القوة بالقوة والتفوق بالتفوق والنبوغ بالنبوغ .

ومن الفتوح التي فتحها شيخنا للجيل وللأجيال الدعوة الى تحليل لغة العلماء والفقهاء والمؤرخين والفلاسفة كما نحلل لغة الشعر والنثر الأدبي ، ففي مقدمة الطبعة الأولى من كتابه (دلالات التراكيب) سنة ١٩٧٨م ذكر أنه إذا كان لكل شاعر أو أديب خصائصه في بناء لغتهِ وكان لكل عصر خصائصه في بناء لغتهِ فكذلك ينبغي أن نقول مثل هذا في الفقه والنحو والفلسفة والتاريخ، فكل علم من هذه العلوم له صيغه وطرائقه، وكل علم منها تختلف صيغه باختلاف العصور، فطرائق المتقدمين في العبارة عن المسألة النحوية غير طرائق المتأخرين، ثم إن لكل عالم في هذه الفنون خصوصياته في بناء لغته وفكره ، فبناء الجملة في مدونة مالك يختلف بلا ريب عن بناء الجملة في رسالة الشافعى ، وأحسب أن العناية بتراكيب الجملة عند الفارابي أو الكندي أو أبي حنيفة أو الأخفش أو الطبري أو ابن الأثير لاتختلف من حيث أهميتها العلمية والبلاغية عن العناية ببناء الجملة فى أدب ابن المقفع أو الجاحظ أو الخُوَارَزْمِي او امرئ القيس أو المتنبي هناك فروق لامحالة ولكن ماهي ؟ لاريب في أن في كلام أبي العلاء ما يدل على أبي العلاء وفي كلام الشافعي مايدل على الشافعي،وأن هناك فرقا كبيرا في اللغة ونظام التراكيب بين ما تجده في الرسالة وما تجده في الفصول والغايات .

انتهى كلام الشيخ وهو يفتح للدرس اللغوي والبلاغي موضوعات لاتحصى لتحديد خصائص كل عالم في بناء لغته وفكره وخصائص كل عصر في بناء لغة العلم فيه في كل فرع من فروع المعرفة، ولم يكتف شيخنا بهذا الطرح النظري للفكرة بل أتبعه بالتطبيق العملي لنماذج

هادية، فكما حلل من النثر الأدبي نصين لابن المقفع ومن الشعر أبياتا للنابغة ومن الكتاب العزيز أوصاف عباد الرحمن في آخر سورة الفرقان، حلل من كلام العلماء نصاً للإمام عبدالقاهر الجرجاني وآخر لأبي الفتح بن جني ، وختم الشيخ كتابه بذلك من صـــــ٣٥٦ الى صـــــ٣٧٦ .

ولكن هذا الفتح من فتوح شيخنا كان في زماننا هذا أشبه بصيحة في واد ؛ فلم أعرف دراسة نهضت بتحليل لغة عالم أو فقيه أو مؤرخ على هذا النحو ؛ لأن هذه الدراسة تحتاج الى تفرغ وصبر وانقطاع ، وقد يستغرق ذلك عاماً أو أعواماً ،وقد شُغل شيخنا بما شُغل به من الدراسات ،وعسى أن ينهض الباحثون بتحقيق هذا الفتح وتطبيقه .

ولا شك في أن للغة الشعر والأدب عُلْقَةً بالنفوس وأن النفوس لها أميل، وأن للقراءة في الشعر والأدب متعةً وأنساً ومزيد شغفٍ ورغبة ، أما لغة العلم والفقه والتاريخ فهي لغة تحتاج إلي كدح العقل وكد الذهن وهو يتلقي أنوار الفكر الذي أبدعه عقل العالم وفكره وكده وكدحه في حقل من حقول المعرفة، ولا يصبح هذا الضرب من النظرفي فكر العالم ولغته متعة وأنساً كالمتعة التي يحصل عليها قارئ الشعر والأدب إلا في لغة الأفذاذ من العلماء وعقول الأفذاذ من الباحثين ، فليس كل عالم تجد في لغته ماتجده من المتعة والأُنس عند قراءة الشعر والأدب وليس كل باحث أو دارس بواجدٍ ذلك .

وحاولت في كتابي (من مصادر البحث البلاغي) أن أطبق هذا الفتح ولو في نصوص قليلة ، فحللت نصين ، الأول للإمام الشافعي في الرسالة صـــ٢١، وهو قوله (والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعة الأصول ، متشعبة الفروع ، فأقل مافي تلك المعاني المجتمعة المتشعبة ، أنها بيانٌ لمن خُوطب بها ممن نزل القُرَانُ بلسانه ، متقاربةُ الاستواء عنده، وإن كان بعضُها أشدَّ تأكيدَ بيانٍ من بعض ، ومختلفةٌ عند من يجهل لسان العرب) ، والنص الثاني للقاضي أبي بكر بن العربي الفقيه

المالكي ، قال في كتابه أحكام القرآن ٢/١١٥ ت محمد عبدالقادر عطا (وقد قال بعض الشافعية : إن التوبة تسقط حقوق الله وحدوده ، وعَزَوْهُ إلى الشافعي قولاً ، وتعلقو بقول الله : " إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ " (المائدة ٣٤) ، وذلك استثناء من الوجوب ، فوجب حمل جميع الحدود عليه ..... الخ) .

ولشيخنا العلامة الدكتور محمد رجب البيومي – طيب الله ثراه – بحث ماتع بعنوان (دلالات التراكيب للدكتور محمد محمد أبو موسى : عرض وتحليل) نُشِر في مجلة علامات في النقد الأدبي بجدة عدد شوال ١٤١٥هـ مارس ١٩٩٥م ، وكان للدكتور البيومي رأي في هذه المسألة ، قال (التفات المؤلف إلي دراسة النصوص العلمية مما يُحْمَدْ له ، ولكن المشاهَد أن قلة قليلة من ذوي المؤلفات العلمية كابن جني وعبدالقاهر ممن لديهم بلاغة التفكير تعبيراً ومنطقاً ، هم الذين تتسع مؤلفاتهم لإيضاح الخصائص النفسية من خلال آثارهم العلمية ، أما الكثرة الكاثرة من ذوي الأنماط المتماثلة فمن المتعذر أن نفهم شيئاً من أمورهم النفسية خلال ما يقررون من نظرية فلسفية أو قاعدة أُصولية ، إذ إن السير العلمي حينئذٍ ينهج نهجاً واضح الغاية لا ينحرف ولا يحيد، وإذا كان الإنسان لايستطيع أن يستشف نفسية من يحل مسألة حسابية أو معادلة جبرية ، فإن من يشرح المتن العلمي ، أو يضرب المثل النحوي، أو يقرر الحكم القانوني ، إنما يتقيد بضوابط عقلية لا يشي بشئ من لواعجه . وقد أستطيع أن أحكم علي الأثر العلمي بما يحدد درجة مؤلفه العلمية فأصيب ، فإذا أردت أن ألج شعاب نفسه من كتاب (المدونه) للإمام مالك أو (المحكم والمتشابه) للقاضي عبدالجبار ، فقد يظلم دوني الطريق ، ولعل خبرة الدكتور أبوموسى النفسية تنفذ به إلى مطارح نائية تحتاج إلى بصر ثاقب ليس لسواه .

أما أن يحدد الاتجاه النفسي في النصوص العلمية ، فتُلْتَمَس الخوالج الدفينة والمشاعر الغامضة ، كما نجد ذلك في النصوص الأدبية ، فذلك عسير ! " انتهى .

وأرى أن طول التمرس بلغة العالم هو خير معين على معرفة كلامه والبصر به ، حتى وإن كان من أصحاب المؤلفات المتماثلة ، فمن أدمن القراءة في كتاب – وإن كان حاشية – عرف مَدَبَّ أقدام المؤلف وعرف طرقه في بناء كلامه ومسالكه في التخلص من موضوع إلى موضوع ومن مسألة إلى مسألة ، أما معرفة الخصائص النفسية للمؤلف من خلال كتابه فهذا يمكن لمحه في كتاب دون كتاب ، وفي لغة عالم دون عالم ، وهو مطلب شاق جداً ، ربما لا تخرج من قراءة كتاب كامل إلا بكلمة أو كلمات أو إشارة أو إشارات خفية يمكن أن تفتح شيئاً من أسرار نفس الكاتب .

٨- مراجعة تراث من نسميهم الرواد فى هذا الجيل

من الأبواب التى نبه شيخنا على أنها بحاجة إلى دراسات جادة " مراجعة تراث من نسميهم الرواد فى هذا الجيل " وقال شيخنا عن هذه المراجعة إنها " ضرورة حضارية وثقافية وضرورة علمية لتصفيته من الشوائب " ، وسمعت شيخنا يسمى هذه الشوائب " أقذار المعرفة " ، وحرص على التنبيه على هذا فى كثير من كتبه ، وبخاصة فى مقدماتها التى لاتخلو من ذكر الفساد الذى استشرى فى حياتنا الثقافية والأدبية . وهذا الباب وراءه خبرة الشيخ وبصره بما يدور حوله فى واقعنا الثقافى والأدبى الذى كثر فيه التخريب والتزوير والتدليس ، وغُرِّرَ بهذا الجيل المُفَرَّغ من ثقافة أمته وإرثها الحضارى ، فاستخف هؤلاء الذين نسميهم الرواد عقول هذا الجيل المفرغ ولوثوها بأقذار المعرفة ، ولاشك فى أن بيان هذا الفساد وكشف عواره ضربٌ من الجهاد الذى يوزن فيه مداد العلماء بدماء الشهداء ، ولم يُخْلِ الله تعالى من أهل الحقيقة جيلا من كرام العلماء الذين ينقون المعرفة من الأوهام

والأباطيل التى كانت تُرَوَّجُ فى زمانهم ؛ لأن العالِمَ ابن يومه وابن زمنه وجيله ، ولابد للعالم الصادق من النُّصْح لأبناء زمنه وجيله والنصح لأمته ، ولايحيا الجيل إلا بهذا ، وليس العالم من يعيش منقطعا فى جزيرة معزولة عن عالمه وواقعه وقضايا زمنه وهمومه ، وكثيرا مارَدَّ الإمام عبد القاهر فى " دلائل الإعجاز " أقوالا فى شأن اللفظ والمعنى والبلاغة والإعجاز صدرت عن نفر ممن لهم شهرة وصيت وكلمة مسموعة فى زمانهم ، وأفرد العلامة محمود شاكر سِفْرَه النفيس "أباطيل وأسمار " لنقض أباطيل لويس عوض وسلامة موسى ومحمد مندور فى الأدب والثقافة ، كما خص رسالته القيمة " رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا " لنقض أباطيل طه حسين التى نشرها فى كتابه "مستقبل الثقافة فى مصر " ، والعلامة أبو موسى يخطو خطوات أخرى على درب الشيخين عبد القاهر ومحمود شاكر فى طريق الجهاد العلمى لدحض الأباطيل التى ذكرها من نسميهم الرواد ، ولو كان لى من الأمر شىء لجعلت هذه الكتب مقررات دراسية على طلاب العلم فى مدارسنا وجامعاتنا ؛ لأنها تحكى تاريخ هذا الفساد وتحصن الأجيال منه ، ولكن لا يطاع لقَصِيرٍ أمر .

وهذه الكتب الرائدة التى تعج بهذه الأباطيل كَثُرَ تداولها وأُعِيدَ طبعُها ولاتزال تطبع بأثمان زهيدة لتزيد فى تفريغ هذا الجيل والأجيال اللاحقة باسم التنوير وتحت شعار محو الرجعية والتخلف ، وهذه الكتب تحتاج إلى كتائب من الباحثين المدققين من أهل العلم ليكشفوا للناس أباطيلها وسماديرها ، ويبينوا وجه الحق ونوره المبين فى كل فرع من فروع المعرفة ، وقد فتح شيخنا هذا الباب بالرد على تلك الأباطيل التى أذاعوها فى البلاغة والإعجاز ، ففى مقدمة الطبعة الثامنة من كتابه "دلالات التراكيب " رَدَّ شيخنا على الشيخ أمين الخولى مقولته التى سرت عند كثير من " الأساتيذ " الذين حملو شعلة " التنوير " فى زماننا، مقولة إن البلاغة انحصرت فى نطاق الجملة ولم تتناول النص الكامل ،

كما رَدَّ عليه قوله إن البلاغة لما شُغِلَت بالإعجاز تخلت عن رسالتها وهى البحث فى " جماليات " البيان ، وفى كتاب شيخنا " دلالات التراكيب " رد الشيخ على الدكتور إبراهيم أنيس إنكاره دلالة النفى والاستثناء ودلالة " إنما " على القصر وقوله إنها لمجرد التوكيد ، وقد أغرانى هذا بجمع الآراء البلاغية للدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه "أسرار اللغة " ونقضها فى بحث وجيز ، والدكتور إبراهيم أنيس ممن له كلمة مسموعة ولكنى رأيته إذا خرج عن مباحث " علم اللغة والدلالة" إلى مسائل النحو والبلاغة كثر وهَمُه وقل صوابُه ، ولايزال كلامه فى البلاغة فى غير هذا الكتاب من كتبه فى حاجة إلى تنقية وتصفية ومراجعة ٠

و نقد شيخنا فى كتابه " قراءة فى الأدب القديم " كلام الدكتور طه حسين فى قصيدة سويد بن أبى كاهل ، ومن المناقشات العلمية الماتعة المشهورة لشيخنا مناقشته للعقاد حول قصة ابن الرومى مع تشبيهات ابن المعتز ، ومناقشته للدكتور محمد غنيمى هلال حول ما انتهى إليه الدكتور غنيمى من أن عبد القاهر الجرجانى تأثر بأرسطو ، ومناقشته للدكتور محمد زكى العشماوى حول الكناية فى بيت أبى الطيب :

تَشتَكي ما اِشتَكَيتُ مِن أَلَمِ الشَو ... قِ إِلَيها وَالشَوقُ حَيثُ النُحولُ

ومن أمتع ما تقرأ لشيخنا من النقد تفنيده لما أشاعه كثير من "الأساتيذ"حول معلقة امرىء القيس من اتهام هذا الشاعر الكبير بالشبقية والإفحاش ، تجد هذا فى كتابه " الشعر الجاهلى دراسة فى منازع الشعراء " عند تحليل قول امرىء القيس :

فَمِثلُكِ حُبلى قَد طَرَقتُ وَمُرضِعٍ ... فَأَلهَيتُها عَن ذي تَمائِمَ مُحوِلِ

وكان من غايات الشيخ فى تأليف كتابه الفريد " تقريب منهاج البلغاء لحازم القَرْطَاجَنِّى " إبطال ما أذاعه الرواد فى الجيل من أن حازما تأثر فى كتابه بكتاب الشعر لأرسطو ٠

وفى كتب شيخنا مراجعات أخرى لبعض هاتيك الأباطيل ، وأنا أعلم أن شيخنا كان يكره الإكثار من ذلك حتى لا يشغله هذا الغثاء عن العيش مع كلام أهل العلم وعن تذوق حر البيان ، وحسبُه أنه فتح الباب ليكمل أبناؤه ، وهكذا العلماء كثيرا ما يفتحون أبواب العلم ومسائله ويقولون عليك أنت أيها القارىء النجيب أن تكمل ٠

فتوح أخرى

- تحليل كلام الإمام الشافعى فى كتاب الرسالة ٠
- ملاءمة الكلمة القرآنية لسياقها ٠
- أثر الآمدى فى فكر عبد القاهر ٠
- البحث عن علة ما جاء على الأصل ٠
- جواب الاستفهام ومدى موافقته أو مخالفته للسؤال وأسرار ذلك ٠
- تطور دلالة الألفاظ على معانيها ٠
- مقاصد العلماء فى تسميات كتبهم ٠
- دلالة أول الآية على آخرها من حيث طريقة البناء التركيبى للآية٠
- الفصل والوصل فى شعر شاعر (يختار الشاعر بعناية) ٠
- عناصر التشبيه فى القرآن الكريم ٠
- عناصر التشبيه فى شعر شاعر (يختار الشاعر بعناية) ٠
- تكرار القصة فى القرآن الكريم ٠
- ترتيب المعانى وعلاقاتها فى السورة من القرآن الكريم أو القصيدة من الشعر ، قال عنه شيخنا " مفتاح مدينة من مدائن العلم " ٠
- موازنات بين الفنون البلاغية فى آداب الأمم ٠
- تطور صور البيان وارتباطها بالأزمنة والأمكنة ٠
- تطور صور البيان فى الشعر المعاصر ٠
- تطور صور البيان فى شعر محمود حسن إسماعيل ٠
- شواهد المتنبى بين عبد القاهر الجرجانى وحازم القرطاجنى ٠

– دراسة الأمثال فى سورة من سور القرآن والرباط الجامع بينها (ضرب شيخنا مثالا بدراسته أمثال سورة النور فى كتابه دراسة فى البلاغة والشعر) ٠

– المباحث التى بدأها عبد القاهر ثم بقيت على ما تركها عليه ٠

– مباحث عبد القاهر التى لم يشرحها المتأخرون (ذكر الشيخ فى المدخل ص ٢٠١ وما بعدها أن ثلاثة أرباع علم الإمام عبد القاهر فى الدلائل تركه المتأخرون)

– الفرق بين أدب الرافعى والمنفلوطى فى طريقة بناء الجمل ٠

– دلالات فروق الصيغ فى القرآن الكريم ٠

– دلالات فروق الصيغ فى الشعر (يختار شاعر أو أكثر) ٠

– دلالات فروق الصيغ فى النثر (يختار أديب أو أكثر) ٠

– قراءة فى مقدمات كتب البلاغة ٠

– مذاهب الأعشى فى افتتاح القصائد وذكر الصاحبة والديار ٠

– الأصول البلاغية فى التفسير بالمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم

– الانتفاع بمناهج الدراسة الأدبية فى حقل التفسير ٠

– المناسبة بين سور القرآن الكريم ٠

– علاقة فواتح السور بخواتمها ٠

– ترتيب الطواسيم وعلاقات المعانى بينها ٠

– سوق المعانى على سبيل الفرض والتقدير فى الذكر الحكيم ٠

– الترقى من الأعلى إلى الأدنى والعكس فى القرآن الكريم ٠

– الحمل على المعنى والحمل على اللفظ فى القرآن الكريم

– الحمل على المعنى والحمل على اللفظ فى الشعر ٠

– علم مناهج البحث فى علوم العربية (سلسلة من البحوث) ٠

– التعريف والتنكير فى القرآن الكريم وفى الشعر والنثر (سلسلة من البحوث) ٠

- الحذف والذكر فى القرآن الكريم وفى الشعر والنثر (سلسلة من البحوث) ٠

- الشواهد التى تكررت فى الدلائل والأسرار ومنهج عبد القاهر فى الاستشهاد بها ٠

- المصادر العلمية لكل عالم فى مسألة مسألة من البلاغة (سلسلة من البحوث) ٠

- البلاغة الغائبة (يراجع مدخل إلى كتابى عبد القاهر ١٠٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٣٣١) ٠

- ما قبل الجناس الاصطلاحى أو طفولة الجناس (يراجع مدخل إلى كتابى عبد القاهر ١١٦ – ١٢٣) ٠

- موازنة بين قصيدة امرئ القيس وقصيدة علقمة الفحل التى وصفا فيها الفرس ٠

- دراسة أبواب البديع على طريقة الإمام عبد القاهر ٠

- شواهد عبد القاهر فى كتب العلماء والفرق بين منهجه ومنهجهم ٠

- طرائق التشبيه فى قصص الحيوان فى الشعر ٠

- مكابدات الإنسان فى شعر هُذَيْل ٠

- الإشارات البلاغية عند أبى حيان التوحيدى ٠

- الوقف والابتداء فى إنشاد الشعر (فتحه العلامة محمود شاكر ونبه إليه شيخنا ثم كتب فيه أخى الدكتور سعيد جمعة بحثا ماتعا) ٠

- حديث الشعراء عن صنعة الشعر ٠

- علاقات الجمل وبناء بعضها على بعض فى القرآن الكريم (سلسلة من البحوث) ٠

- علاقات الجمل وبناء بعضها على بعض فى الشعر (سلسلة من البحوث) ٠

- علاقات الجمل وبناء بعضها على بعض فى النثر (سلسلة من البحوث) ٠

- تأليف المختلف فى القرآن الكريم (سلسلة من البحوث) .
- تأليف المختلف فى الشعر (سلسلة من البحوث) .
- تأليف المختلف فى النثر (سلسلة من البحوث) .
- فاءات القرآن الكريم ولاماته وماءاته (سلسلة من البحوث) .
- آيات من الذكر الحكيم وفضلها على أبلغ ما جاء عن العرب فى معناها (سلسلة من البحوث) .
- أسرار التآخى بين الألفاظ والصيغ والمعانى فى القرآن الكريم والشعر (سلسلة من البحوث) .
- الموازنة بين الحديث عن تميم فى شعر أوس والفرزدق .
- ربط الفروع بالأصول أو استخراج أمهات المعانى وما تفرع منها فى ديوان شاعر (سلسلة من البحوث) .
- أمارات النبوة فى الحديث النبوى .
- كلام سعيد بن العاص جمع ودراسة بلاغية ؛ لأنه كان أشبه الناس لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم .
- بلاغة الحديث عن السرقة والزنا والغلول فى الكتاب والسنة .
- الجمع بين صفتى الفخامة والعذوبة فى القرآن وجه من الإعجاز .
- التهيئة والتوطئة فى البيان النبوى .
- ترتيب قصائد الديوان على حسب تقاربها وتشابهها فى صنعة البيان
- الأشباه والنظائر فى الحديث النبوى دراسة بلاغية (شرح أحاديث من صحيح مسلم ١٠٤ ، ١١٢) .
- التكرار فى الحديث الشريف .
- الترادف فى البيان النبوى .
- تأليف المختلف فى الحديث النبوى .
- الإيجاز فى الحديث النبوى .
- أولياته صلى الله عليه وسلم فى باب باب من البلاغة .

- تحليل الأحاديث النبوية التى تناولت معنى واحدا (سلسلة من البحوث) .
- تفسير القرآن بالقرآن وتفسير الحديث بالحديث .
- تفسير القرآن الكريم بالحديث الشريف (فتحه شيخنا وكتب فيه العلامة الدكتور إبراهيم الخولى كتابا نفيسا بعنوان "السنة بيانا للقرآن)
- أقوال رجال الأمة وهم على فراش الموت جمع ودراسة بلاغية (قال عنه شيخنا وددت لو كتبته) .
- طريقة حذو المعانى باب من البلاغة لم يدرس .
- تعدد روايات الحديث الشريف دراسة بلاغية(سلسلة من البحوث) .
- كلام الصحابة الذى فيه ريح النبوة جمع ودراسة بلاغية .
- المأثورات النقدية عن العرب والنقاد دراسة بلاغية .
- تصوير الشباب والمشيب فى القرآن الكريم والشعر دراسة بلاغية.
- البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم (سلسلة من البحوث) .
- البلاغة الصوتية فى الشعر والنثر (سلسلة من البحوث) .
- علاقة فنون البلاغة بالفطرة .
- إعجاز القرآن الكريم بمعانيه .
- القضايا النقدية عند الباقلانى .
- موقع الموعظة فى القصص القرآنى دراسة بلاغية .

هذا قُلٌّ من كُثْر مما فتحه العلامة الدكتور محمد أبو موسى للأجيال ، وأسأل الله تعالى أن يبارك له فى عمره وعلمه وعمله وأن ينفع به ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .